

ربيع بابل

. سامي مهدي .

من جوفِ دنيا الظلام،
وتزحُمُ أبوابَ بابلَ بالمنشدين،
وبالسَّعْفِ الغضِّ نَبني عرائشَ للوافدين،
ونأتني إليه بما عندنا من نذور،
ومن ماءٍ وردٍ ورزٍّ، نرشهما فوقَ موكبه إذ يدور،
على كلِّ حقلٍ بذرنَاهُ من خيرٍ ما عندنا من بذور،
وتأتي العذارى ليختارَ أجملهنَّ عروساً له،
ويقيم على أرضنا زمناً،
ثمَّ يختم زورته بالرضا والسلام

❖ ❖

وقد مرَّ عامٌ و عامٌ و عامٌ
ولم نره،
قيل: مرَّ ولم يستطِبْ أن يُطيلَ المقامَ
في منازلنا، فالطيورُ
تركتُ للصواريخ أعشاشها، والزهورُ
خَنَقَتْها لفائفُ أكمامها، والبذورُ
أكلَ الدودُ لُبَّتَها، والحقولُ
حرثتُ أرضها السُّرُفاتُ،
والمراعي غدتُ منبتاً للشظايا،
وأحرقتُ الطائراتُ
ما تبقى على الأرض من شجرٍ و فسيل،

أمن باطنِ الأرضِ، أم من أعالي السماءِ
أتى خلسةً؟
نحن لم نره حينَ جاءَ
ولكننا - إذ رأينا الشتاءَ
يُجفِّفُ أثوابه عندَ أبوابنا، والغيومُ
تُلملمُ أذيالها، والنجومُ
تغامزنا، والقمرُ
يُحومُ حولَ شبابيكنا، والشجرُ
يلوحُ للشمسِ عندَ الصباحِ
وينفضُّ عن كتفيه الندى، والرياحُ
تمازحه، والزهرُ
يُنضدُ عقدَ يواقيته في وئى واصطباراً
ويرنو إلى العشبِ إذ يستحمُّ بضوءِ النهارِ -
ضحكنا، وقلنا:

إذن جاءنا خلسةً، مثلما غابَ عنا وراح.

❖ ❖

ولا ضير، نحن على عهدنا معه كلَّ عامٍ
نتابع أخباره كلِّما غابَ عنا،
ونرقبُ زورته،
ونزئُ كلَّ طريقٍ ومبنى
لمقدمه، منذُ أن عادَ تموزُ

❖ - شاعر من العراق

ولم تلدِ الأمهاتُ

سوى أرجلٍ وذبولٍ،

وقد راعهُ ما رأى في السماءِ وفي الأرضِ من نكباتٍ

ففرَّ وفي ظنِّه أنَّ عشتارَ ماتتْ وتموزَ ماتَ

ونحنُ دخلنا معاً، كالضفادعِ، في دورةٍ من سباتٍ .

❖ ❖

ولكننا قد بقينا على عهدنا معه ثابتينُ

نكدُّ على أرضنا مثلَ كلِّ السنينِ

ونهبوا إليه،

ومن شَغَفِ الانتظارِ

نقيمُ مراصدنا بينَ حقلٍ وحقلٍ

ونوقدُ في الليلِ ناراً وناراً

ونرفعُ أعلامنا فوقَ كلِّ جدارٍ

ليعلمَ أننا هنا لم نزلْ واقفينِ

وإيَّاهُ منتظرينِ،

فإنَّ جاءَ جاءَ،

وإنَّ لم يجرِ فسنأتي بهِ راكبينِ

غيوماً مطهَّمةً، أو روابيَ زاحفةً،

أو تنانينَ طائرةً،

أو شياطينَ . .

نأتي بهِ، راضياً مُكرهاً، لا كآبائنا الأولينِ .

❖ ❖

ولكنهُ جاءَ،

هذي تباشيرُ من عندهِ،

نحنُ نعرفُها منذ سبعةِ آلافِ عامٍ،

ويعرفُها في الحقولِ الترابِ،

وما شبَّ فيهِ، ودبَّ عليهِ،

وما هبَّ من رقدةٍ واستقام .

فإنَّ ظلَّ يقلقه ما رآه،

وإنَّ هو غادرنا قبل ميقاتهِ ومضى في الفلاةِ،

وإنَّ هو تاهَ،

فسنأتي بهِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ

ونقتادهُ كالصغارِ إلى بذرةٍ بعدَ بذرةٍ

ولنَ ندعَ الزرعَ والضرعَ إلا وقد أفعما بدماءِ الحياةِ

ودبَّ الرواءُ إلى كلِّ صخره

وسالَ إلى كلِّ حفرةِ

وأحيا رميمَ العظامِ،

وعندئذٍ سوفَ نختمُ زورتهُ بالرضا والسلامِ

وأيامنا بالمسرةِ،

ليبدأ رحلتهِ من جديدٍ

كما اعتادَ في كلِّ عامٍ .